## المحاضرة الأولى: علم الاجتماع في الفكر العربي

### 1/مفهوم علم الاجتماع في الفكر العربي:

كانت البداية الأولى لتحديد مفهوم علم الاجتماع واضحة في كتابات وقراءات ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الذي أكد على ضرورة تحديد الموضوع كميزة خاصة بكل علم وعليه حدد ابن خلدون موضوعات علم العمران البشري في قوله "أعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس والعصبيات أضاف التغلبات البشر على بعضهم البعض وما نشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتجه عن البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.

وفي هذا السياق يوضح ابن خلدون مفهوم وموضوع علم الاجتماع في كتابه الشهير المقدمة "فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو وسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا

يرى هشام يعقوب مريزيق أن : علم الاجتماع يتميز عن العلوم الاجتماعية الأخرى بميزة أساسية في موضوعه الذي يهتم بدراسة الطبيعة الإنسانية للمجتمع وكيفية الحفاظ على توازنه وهذا ما وضحه في قوله أن علم الاجتماع هو : "ذلك العلم الذي يدرس الطبيعة الإنسانية للمجتمع وأساليب الحفاظ على التركيبة الثقافية والسياسية .

كما يرى آخرون: هو ذلك العلم الذي يعني بدراسة الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تشكل المجتمع الإنساني.

كما يشير إليه البعض بصفته العلم الذي يعالج الاتجاهات السائدة والسلوك وأنماط العلاقات داخل المجتمع.

### 2/نشأة علم الاجتماع في الفكر العربي:

لم يستطع المُشتغلون في عِلم الاجتماع في الوطن العربي إلى الآن إضفاء هوية خاصة به، وصوْغ نظريّة عامّة للواقع الاجتماعي، نستطيع من خلالها فَهْم الأحداث الاجتماعيّة والخصوصيّة الاجتماعيّة لمُجتمعاتنا العربيّة وتفسيرها؛ إذ عرفت المُمارسات الاجتماعيّة العربيّة تيّارَين:

**أ/التيار الأوّل:** يدور في فلك النظريّات الغربيّة والنتاج الاجتماعي الغربي.

ما أَضعف النّتاج النظري الذي يؤطِّر لمجُريات الأحداث التي يمرّ بها المجتمع العربيّ ، مما صعب مُعظم المُمارسات والأعمال الاجتماعيّة العربيّة بالتبعيّة للغرب وباستيراد النظريّات الغربيّة الجاهزة في محاولةٍ لشرح القضايا الاجتماعيّة للمُجتمع العربيّ وفق تلك النظريّات التي تمخّضت عن خصوصيّة المجتمع الغربي، مُتناسين أنّ علم الاجتماع هو وليد بيئته وظروفه التاريخيّة والاجتماعيّة، وبذلك أَسقط عُلماء الاجتماع عموماً ارتباطهم بمُجتمعهم وبقضاياه، فأغفلوا البنى الداخليّة الأساسيّة في تفسير تلك القضايا وتحليلها، وأتى المردود الاجتماعي العربيّ بعيداً عن هُموم الإنسان العربيّ ، هذا ما أكّدته اعترافات الكثير من عُلماء الاجتماع العرب أمثال عزّت حجازي وعلي الكنز....

**ب/ التيّار الثاني:** فيرى أنّه من أجل إنتاج عِلم اجتماع عربيّ، لا بدّ من العودة إلى الإسلام. فكان لدينا على الساحة العربيّة طرحُ مشروعيّة قيام عِلم اجتماع من منظور إسلاميّ، بحجّة أنّ هذا العِلم يهدف إلى وضع نظريّة عامّة وشاملة لتفسير المجتمع، وأنّ الإسلام جاء برؤية وتصوّر شاملَين للمجتمع والحياة، فعملوا على تطوير مَفاهيم هذا العِلم من منظور إسلاميّ في سياق "عِلم اجتماع إسلاميّ "، هذا كلّه أفضى إلى انتشار المرَاكز والمعَاهد التي تُعنى بالعمل الاجتماعي من منظور إسلاميّ، فكان "معهد إسلام المعرفة"، الذي تأسَّس في العام 1990 في جامعة الجزيرة في السودان، و"مركز نماء للدراسات والبحوث"، وكذلك"مركز التأصيل للدراسات والأبحاث". فظهرت مُمارسات اجتماعيّة إسلاميّة لا تُلامس هموم الإنسان العربيّ وقضاياه، وهكذا ما بين التبعيّة والأصالة اغترب الباحث عن واقعه وابتعد عن المشكلات والقضايا التي تُلامس المواطن العربيّ، ووقَع في إشكاليّة إثبات هويّة هذا العِلم.

ويمكن أنْ نتتبع مراحل نشوء علم الاجتماع وتطوره في المجتمع العربي على وفق ست مراحل وهي:

1- كانت بداية دخول علم الاجتماع إلى الوطن العربي عن طريق الجامعات والكليات (على الرغم من نشوئه على يد المفكر العربي ابن خلدون) إلاَّ أنَّه منذ دخوله وحتى عام (1950) قد جلب معه معظم أدبيات ودراسات ونظريات ومناهج علم الاجتماع الغربي. (مرحلة النقل)

2- ومن الخمسينيات والستينيات انتقل إلى مرحلة جديدة وهي النسخ، أي تقليد نتاجات الغرب سواء كان على نطاق البحث أم الموضوع من قبل الباحثين الاجتماعيين العرب.( مرحلة النسخ)

3- وفي مرحلة السبعينيات انتبه الباحثين العرب إلى ضرورة دراسة واقعهم برؤية تمثل مجتمعهم العربي وبدون أدوات غربية. (مرحلة الصحوة)

4- ثم أتت مرحلة الثمانينيات فظهرت الدعوة القومية من خلال بعض الدارسين والباحثين الاجتماعيين العرب الملتزمين بالموضوعية والواعين مصيرهم القومي فاهتموا بطرح و تحليل مشكلات وظواهر مجتمعهم العربي الأكبر أكثر من مجتمعاتهم الإقليمية. (مرحلة الدعوة القومية)

5- وقد توقع أنْ تكون مرحلة التسعينيات مرحلة اختبار لنظريات ودراسات وأفكار غربية من خلال البيئة العربية وتقويمها ونقدها بشكل موضوعي، ومن ثم قبولها أو عدم قبولها ، أي أنَّ الباحثين العرب لم يعد بوسعهم قبول كل ما يأتي من الغرب في ميدان علم الاجتماع بل يقبلوا ما يفيد مجتمعهم ومستقبله فقط. (مرحلة الاختبار والنقد)

6- وبعد ذلك يمكن أنْ تظهر أفكار عربية جديدة ومبتكرة تمثل الطموح العلمي المنطلق من البيئة العربية والذي سوف يتفاعل مع محاولات مماثله في مجتمعات نامية أخرى في آسيا وأفريقيا وغيرها وهنا سوف تتحقق مرحلة الانتشار والتفاعل.( مرحلة الانتشار والتفاعل).

## المحاضرة الثانية: دراسة أوضاع علم الإجتماع في الوطن العربي:

هناك بعض القضايا والمسلمات والتساؤلات العامة والهامة لدراسة أوضاع علم الإجتماع في الوطن العربي والذي يحتاج رصدها جهد وعمل قومي مكثف ودراسات مسحية لتراث العلم على صعيد كل قطر وعلى مستوى الوطن العربي والتي تتطلب دراسات بدل مجرد الإنطباعات التي يقدمها العمل الراهن.

أ- عدم وجود تواصل واتصال بين علم الاجتماع وفروع التخصصات الأخرى التي تشارك العلوم الاجتماعية في اهتمامها ببعض الظواهر في المجتمعات العربية، اتصال يعمق من مفهوم شمولية الظواهر الاجتماعية ويؤدي إلى ترابط وظيفي أو مؤسسي بين التخصصات يهدف في نهاية الأمر للنهوض بهذه المجتمعات ومعالجة مشاكلها في إطار المنهج العلمي الذي يحدد إطاره النموذج الإرشادي المناسب. حيث كان التعاون بين التخصصات مفقودا أو قليلا في أحسن الحالات. إن علوما مثل الاقتصاد والتربية وعلم النفس والشريعة والبيئة وغيرها تتداخل بعضها البعض وإن تعاون المتخصصون فيها وتكاملت جهودهم فلاشك أن ذلك يؤدي إلى فهم أفضل وأشمل للقضايا الاجتماعية وغير الاجتماعية التي تعيشها المنطقة العربية والإسلامية الآن.

ب - عدم الإلتزام بشمولية العلم: إن علم الإجتماع بالرغم من تباينه بتباين مداخله وغاياته، فهو لم يهتم بما هو عام وبنائي الشيء الذي يطرح سؤالا في حاجة إلى إجابة: إلى أي مدى التزم علم الإجتماع في الوطن العربي بهذه النقطة وإلى أي حد اقترب أو ابتعد عنها في واقع المشتغلين به على مستوى الأقطار العربية؟

ج - الإهتمام بالموضوعات الجزئية المحدودة التي يضيع فيها التخصص في علم الإجتماع دراسة موضوعات تاريخية صرفة أو دراسة دور الحضانة أو المسنين أو مقرر الرياضيات لطلاب المرحلة الثانوية. وإنه على علم الإجتماع ولكي يتميز بموضوعية لابد أن يقف بجانب القطاعات الأكبر عددا وقوفا موضوعيا علميا بالتركيز على العوامل الجوهرية المؤثرة في هذه الأحوال (عمومية الظاهرات التي يجب أن تشكل موضوعا للعلم أي انتشارها بين أكبر قطاعات المجتمع وارتباطها بحياة الغالبية).

د - الإبتعاد عن الوظيفة الإنسانية المخولة لعلم الإجتماع: كلما كانت الوظائف التي يؤديها أي علم إنسانية بما فيها علم الإجتماع كان العلم إنسانيا للغاية، كما أن البحث العلمي لمجرد البحث لم يكن في يوم من الأيام المبتغى بل كان تطوير العلم لتطوير المجتمع والإسهام في حل مشكلاته، فإن شهادة تاريخ علم الإجتماع نفسه على وجود وظائف له حددتها الظروف المحيطة بالباحثين سواء تلك التي جعلتهم يعبرون عن مصالح الأغلبية.

ه - تأثر البحث السوسيولوجي بالظروف المحيطة به: لما كان العلم نشاطا إنسانيا مستهدفا ونتاج لجماع ظروف إجتماعية واقتصادية وسياسية تتحدد بكل مرحلة تاريخية من مراحل تطور المجتمع المعين، فإن الجهد السوسيولوجي في الوطن

العربي ليس استثناء، فهو تأثر ولا يزال سلبا أو إيجابا بنمط العلاقات السائدة في المجتمع بين الجماعات وبين حائزي القوة والخاضعين لها وبين المجتمع العربي بأقطاره وبين المجتمع الدولي بتناقضاته وما تسيطر عليه من قوى اقتصادية وسياسية وحصاد كل هذا يمكن أن يتيح فرصا للباحثين للعمل للإبداع لتطوير علمهم وشحذه نظريا ومنهجيا وتحقيق التزامه بقضايا الوطن والمواطنين، كما يمكن أن يحول دون التقدم خطوة أو التحرك ولو قيد أنملة. وفي هذا يستخدم أساليب مفروضة من خارج المجتمع المعين، وأخرى من داخله حينا واضحة وحينا كامنة وتندرج من عدم الإكتراث بالبحث والباحث وتتصاعد لتصل إلى الضغط عليهم وبين الترهيب والترغيب يطلب من الباحثين دراسة موضوعات لا غيرها وأن يسيروا في مسالك قبل غيرها.

## المحاضرة الثالثة: إشكالية التبعية للإيديولوجيات الغربية:

أكد العديد من الباحثين السوسيولوجيين أن علم الاجتماع الأكاديمي مازال تابعا للإيديولوجيات الأجنبية، ففي الوقت الذي تفرض فيه التغيرات العلمية والاكتشافات محاولة تحصيل المكتسبات الجديدة بناء على التغيرات السريعة،نجد أن علم الاجتماع يتواجد في عمق الأزمة أكثر من أي علم آخر، مما ينعكس على الممارسة السوسيولوجية التي تبقى بدورها تابعة للسوسيولوجيا الغربية من ناحية المضمون والمنهج، وبهذا الصدد يوضح علي الكنز قائلا: "إن إيجابيتنا تجاه النظريات السوسيولوجية الغربية جعلتنا نتقن التعليم، إلا أنها لم تعطنا الأدوات اللازمة لمعالجة قضايا واقعنا الذي يختلف في تكوينه عن واقع المجتمعات الغربية، لذا تبقى أغلبية الأبحاث عقيمة، إذ تؤدي في أحسن الحالات إلى تجميع معلومات تجريبية يعاد تركيبها في إشكالات مصطنعة لا تلائم الواقع" ، وفيما يخص مسألة التبعية هذه يقر فوزي العربي مضيفا: "يعاني علماء الاجتماع العرب من التبعية الفكرية،وهم متأثرون بالنظريات المستوردة التي عاصروها في مرحلة التكوين، ومازالوا يكرسون أنفسهم لها"

### 1/ إشكالية الموضوع:

إن الحديث عن موضوع علم الاجتماع ابستمولوجيا يشير الى بنية معرفية متكاملة وغير متناقضة، تتكون من مجموعة عناصر أهمها المفاهيم باعتبارها تصورات ذهنية مجردة عن وقائع مادية "وبالتالي فالاختلاف في تحديد المفاهيم هو في الأساس اختلاف في التصور الذهني للأفراد أي أن مجموع الرموز التي تفكر من خلالها الذات المفكرة تختلف باختلاف البيئة الثقافية والاجتماعية، وبتعدد الخيارات الخارجية، وعليه فانعدام الإطار الترميزي والتصوري المشترك يؤدي إلى تعدد المفاهيم والتصورات، مما يؤدي إلى الاختلاف في تكوين البنية النهائية لموضوع السوسيولوجيا" ، إن هذه الحالة خاصة بعلم الاجتماع، أين يتفق كل علماء الاجتماع حول نقطة واحدة هي صعوبة تحديد موضوع علم الاجتماع عكس بقية التخصصات الأخرى، وسبب ذلك يعود في الأساس إلى البعد الإيديولوجي الذي أطر وحدد مجالات الترميز وأهداف السوسيولوجيا قبل أن ترى النور، وعليه تختلف التعريفات ومن خلالها الموضوعات بحسب الإطار الإيديولوجي الذي تتكلم من خلاله الذات السوسيولوجية ، يقول عزت حجازي : "معظم ما عرض له المشتغلون بالعلم والبحث موضوعات أو مشكلات يفتقر الكثير منها إلى عنصر المعاصرة، أي أنه تقليد تجاوزته حركة البحث والتفكير... بعيد عما هو محوري في النظام الاجتماعي وحيوي لحياة البشر" .

ويوضح علي الكنز من خلال اعترافاته فيما يخص هذه المسألة أنه " لم تعطنا النظريات الغربية الأدوات اللازمة لمعالجة قضايا واقعنا الذي يختلف في تكوينه ويزيد تعقيدا على واقع المجتمعات الغربية، لذا تبقى الأبحاث المحلية باستثناء بعضها القليل عقيم، إذ تؤدي في أحسن الأحوال إلى تجميع طائفة من المعلومات التجريبية يعاد تركيبها في إشكاليات مصطنعة لا تلائم الواقع، لقد برهنت التجربة أنه من الصعب استعمال أدوات تحليل مستوردة من حضارة أخرى في بحوث محلية"

أما عبد الباسط عبد المعطي فيرى "أن الطابع الغالب على الدراسات السوسيولوجية العربية، تمثل في التأليف المدرسي المعتمد على النقل والترجمة والدراسات الجزئية حول مشكلة محددة، أو نظام اجتماعي محدد كالأسرة والتعليم في الغالب، الأمر الذي يحدد الجهود البحثية بدراسة الأبعاد والثوابت للمجتمع العربي والمبالغة فيها، وإغفال الأبعاد الدينامية خاصة موضوعات التغير الاجتماعي" .

توحي هذه الاعترافات أن إشكالية أخرى تقف في وجه علم الاجتماع في العالم العربي وهي الفقر الابستمولوجي والنظري، بطبيعة الحال أن المناهج العلمية، لكن مضامينها محلية ذات خصوصية اجتماعية وثقافية.

إن من يقرأ لماكس فيبر يقرأ التاريخ الاجتماعي والثقافة الأوروبية، ومن يقرأ أي بحث أجنبي يسهل عليه تحديد هويته النظرية وظيفي، مادي أو تاريخي، وهذه دراسة أرادت التوفيق بين الاتجاهات النظرية، وتلك ترفض التنظير لتنطلق من الواقع، ولكنك عندما تقرأ بحثا أو دراسة عربية يراودك الشك في معرفة اتجاه كاتبها، وإتقانه لأبجديات البحث السوسيولوجي ودور النظرية فيه"

ورغم هذا فإن أغلب المشتغلين في الحقل السوسيولوجي العربي ينتمون بحثا وتأليفا إلى الاتجاهات المحافظة و الامبريقية، وفئة قليلة تناصر الاتجاهات النقدية والتجديدية المعتمدة على النقل والترجمة، ومن هنا يبرز الاهتمام بالجوانب الاستاتيكية، وإهمال الجانب الدينامي في المجتمع لتبقى الكثير من المواضيع، وقطاعات عريضة من المجتمع العربي منظورا إليها على أنها مواضيع وقطاعات سرية يعد كشف النقاب عنها جرما – السلطة وآليات السيطرة،العلاقات والسلوك الجنسي، العقيدة والممارسات الدينية وغيرها، وحتى المواضيع المعالجة فإن البحث فيها تسيطر عليه النظرة الامبيريقية الجزئية التي تركز على الآني والمعطى، متجاهلة الكامن والخفي المتجذر في الكل والشمولي مع التطلع إلى تحقيق أعلى درجات الموضوعية"

## المحاضرة الرابعة: إشكالية المنهج:

لقد كان المنهج الهاجس المقلق لعلم الاجتماع منذ النشأة، حيث كان البحث عن المنهج هو البحث عن العلم فيحد ذاته داخل النسق الفلسفي.

إن أصل أزمة المنهج في علم الاجتماع هو الرغبة الملحة في استخدام طرق ومناهج وأساليب العلوم الطبيعية وتطبيقها بحذافيرها في دراسة الظواهر الانسانية والاجتماعية على أمل أن يساعد ذلك على الوصول إلى نفس الدرجة من الدقة التي بلغتها العلوم الطبيعية.

والمنهج باعتباره الطريقة الصحيحة والسليمة التي توصلنا إلى نتائج أفضل في أسرع وقت وأقل جهد لم يستطع أن يتلائم مع موضوع علم الاجتماع الذي لم يتحدد بعد، فتعددت المناهج بتعدد المواضيع، وتفاقم الصراع المعرفي داخل النسق السوسيولوجي، وأصبح موضوع علم الاجتماع هو الصراع الداخلي حول أفضل منهج وأحسن أداة وأسلوب"

وفي هذا الإطار يذهب الطيب تيزيني - في تقديمه لكتاب نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر - إلى أن علم الاجتماع الذي دخل الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية ركز على الموقف الامبيريقي في ملاحظة الظواهر مبعثرة، مسقطة من حسابها الإطار النظري الشامل الذي يحتويها، مما أدى حسبه إلى انسداد الأفق التاريخي في البحث السوسيولوجي العربي"

هذا الاختيار لنوع معين من المواضيع والمقاربات المنهجية في الممارسة البحثية السوسيولوجية العربية، انعكس على التصميم المنهجي للبحوث وتنفيذها. فمن السهل على المتصفح للدراسات الاجتماعية العربية أن يلاحظ شيوع استخدام الباحثين لأدوات جمع البيانات الكمية كالملاحظة والاستمارة ،التي أصبحت مرادفة للتحقيق الميداني، لكن الخطأ ليس في هذه الأدوات، إنما في كيفية استخدامها بطريقة خاطئة، أو الاعتماد عليها منفردة أو متكاملة مع بعضها البعض ،أو أنها تلائم أهداف البحث أم لا، كما أن هذه الأدوات تخضع مثل النظريات للنسبية الحضارية، ويعبر عن ذلك عزت والأدوات ليست محايدة، حيث ينطوي إعدادها وتنفيذها على أبعاد إيديولوجية مهمة ومؤثرة في الممارسة السوسيولوجية، والفاعلين المشتركين في هذه الممارسة كالباحث الذي يعد التصميم المنهجي والأدوات والباحث الميداني الذي يجمع المعلومات فعلا، والمجيب الذي يقدم المعلومات، تتعقد الأمور كثيرا نتيجة الوعي والوعي الزائف بالبحث وأغراضه وجدواه، ودور كل فيه.

إن الاقتصار على استخدام أدوات بعينها واستعمالها بطريقة خاطئة ودون إدراك للعديد من التعقيدات في استخدامها يؤدي إلى جوانب قصور عديدة في المعلومات، في حين توجد كنوز من المعطيات في كل موضوع لم تكتشف بعد، بل إن إمكانات بعض الأدوات لم تستغل بعد. يقول عبد الباسط عبد المعطي في هذا الإطار: " نظرا لأن الاستمارة في تصميمها لم تعتمد على إطار نظري واضح ومحدد، فالباحث يضع بنودا هي من صنعه ويصوغ أسئلة يحاصر بها المبحوث ليجيب إجابات يريدها الباحث فيصير الموقف مفتعلا، ونصل إلى نتائج من نفس النوع، ونزعم أن هذا هو منطلق البحث السوسيولوجي" .

## المحاضرة الخامسة: إشكاليـــة نتائج البحوث والتنظير للقضايا السوسيولوجية العربية:

### أ/إشكاليـــة نتائج البحوث:

بعد استعمال الباحث لأدوات بحث كمية ترمي إلى الوصف وتقرير خصائص الظواهر، فإن هذا الوصفي أتي دائما آليا للواقع الاجتماعي، أقل ما يقال عنه أنه سوسيوغرافيا أو وصف اجتماعي لا علاقة له بعلم الاجتماع والمجتمع وظواهره. حيث يستطرد الباحث في عرض جداول طولية وعرضية، ونادرا ما يرفق هذا بمحاولة التعرف على ما تحمله هذه النتائج من دلالات، في ضوء ما يعرفه المجتمع من تحولات بنيوية ووظيفية. وفي هذا الإطار يقر

عزت حجازي: " ولهذا تنتهي معظم الدراسات والبحوث الاجتماعية بعدد يكون هائلا في بعض الحالات من الجداول تتوزع فيها المادة الميدانية، ويعلق عليها بوصف موجز... ويأتي ناتج البحث هزيلا لا يضيف كثيرا، وقد لا يضيف شيئا إلى ما يعرفه المثقف، بل الإنسان العادي عن موضوع البحث"

هذا الإشكال يقود إلى إشكال آخر هو غياب التفسير والتأويل ومن ثم التنظير، ففي حالات كثيرة يكتفي الباحثون بالإجابة عن السؤال كيـــــف؟ مع تجاهل السؤال لماذا؟، هذا التساؤل الذي يقود إلى الخيال السوسيولوجي ،والنقد البناء وهما ظاهرتان ثقافيتان ترتبطان بالثقافة المتفتحة والمتجددة، والتي تنجب العقل المبدع الذي ينتج النظريات التي تفسر الواقع المجتمعي وتتحاور معه، هذه النظريات طورها علماء وهبوا أنفسهم للعلم، حيث فهم هؤلاء أن العلم رسالة ومسؤولية أخلاقية وعلمية بالدرجة الأولى، وليس مجرد مهنة أو نشاط بحثي ظرفي. وفي هذا الإطار يعترف عزت حجازي قائلا: "تحول معظم المشتغلين بعلم الاجتماع إلى مفكرين بأجر، يبحثون ويدرسون ويكتبون في حدود ما يطلب منهم، ويؤجرون عليه، وتردى بعضهم في الغفلة دون قصد، وتمادى آخرون في طريق الانتهازية ..."

**2/ إشكالية التنظير للقضايا السوسيولوجية العربية:**

إن تفسير إشكالية علم الاجتماع العربي وفهم أزمة التنظير للقضايا السوسيولوجية في العالم العربي لا يمكن أن يتحقق في ضوء دراسة وتحليل واقع المجتمعات العربية والوعي بخصوصيتها التاريخية فقط، بل لا بد من السعي إلى فهم طبيعة العلاقات غير المتكافئة اقتصادية كانت سياسية أو ثقافية بين هذه المجتمعات وواقع المجتمع الغربي الرأسمالي ناهيك على أن المتتبع لتاريخ أوروبا الرأسمالية وتأثير هذا التاريخ على نشأة علم الاجتماع الغربي يدرك على الفور طبيعة الظروف الباعثة على نشأة هذا العلم.

وترجع إشكالية التنظير للقضايا الاجتماعية في المجتمعات العربية في الأساس إلى اغتراب علم الاجتماع والنظريات الغربية عن واقع هذه المجتمعات، ومن ثم يمكن القول: إن اغتراب علم الاجتماع العربي يمثل منتوجا واقعيا لعملية تصدير الفكر والثقافة الغربية ذات الأصول المجتمعية المختلفة إلى المجتمعات العربية، وهذا راجع إلى أن المجتمعات العربية ارتبطت منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر على وجه التحديد بشبكة علاقات خارجية ذات شكل لا متكافئ مع المجتمعات الرأسمالية، وقد فرضت هذه العلاقات غير المتكافئة استدماج الواقع الاقتصادي والسياسي، ومن ثم الاجتماعي لدول العالم العربي، وتم فصلها مع النظام الرأسمالي العالمي. وعليه أصبحت مهمة علم الاجتماع تتركز في ترسيخ الواقع المتخلف التابع، وتأكيد البنية الاقتصادية الاجتماعية المشوهة لهذه المجتمعات.

والنتيجة النهائية لهذا الاغتراب هي اغتراب علم الاجتماع ونظرياته عن واقع المجتمعات العربية، ويظهر ذلك في غياب طرح سوسيولوجي مكتمل النمو أو بالأحرى يظهر بديل لعلم الاجتماع وتبقى النظرية السوسيولوجية في المجتمعات العربية على العموم بحاجة ملحة إلى ابتكار مفاهيم وأطر نظرية تأخذ في اعتبارها القضايا النوعية والظروف المجتمعية لهذه المجتمعات، مؤكدين على مقولات الخصوصية التاريخية في هذا الشأن كما سبق وأوضحنا .